

العوامل الكامنة وراء تشويه صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية *The factors behind the distortion of the image of islam and muslims in the western media*



د/ نصير لعرباوي

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، (الجزائر)

n.larbaoui@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 2022/06/05

تاريخ القبول للنشر: 2022/05/30

تاريخ الاستلام: 2021/09/04

ملخص: تتعرض صورة الإسلام والمسلمين لكثير من حملات التشويه، التخويف والتضليل في معظم وسائل الإعلام الغربية التي تروج صوراً تثير الشك والريبة، وتخلق النفور من كل ما له صلة بالدين الإسلامي، إذ يواجه الإسلام اليوم جملة من التحديات تختلف عن كل الأشكال الأخرى التي اعترضته على مر التاريخ، فهي تضع المسلمين أمام اختبار عسير يمس هويتهم وصورتهم ومكانتهم بين الأمم ويهدد مستقبلهم ويعيق تحقيق أهداف رسالة دينهم ذات الأبعاد الكونية والحضارية، هذا ويهدف المقال إلى تبيان الأسباب الحقيقية التي تقف وراء هذه الحملة، ليصل في الأخير نتائج أهمها ضرورة إيجاد إستراتيجية شاملة لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي وتبيان أن الدين الإسلامي هو دين حوار وتسامح لا دين تضارب وتصادم.

الكلمات المفتاحية: الصورة؛ الصورة الذهنية؛ الإسلام؛ المسلمين؛ وسائل الإعلام الغربية.

Abstract: The image of Islam and Muslims is subjected to many campaigns of distortion, intimidation and misleading in most of the Western media, which promote images that raise suspicion and suspicion, and create aversion to everything related to the Islamic religion, as Islam today faces many challenges that differ from all other forms that have opposed it throughout history. It puts Muslims in the face of difficult challenges that affect their identity, image and position among nations and threaten their future and hinder the achievement of the goals of their religion's message of global and civilizational dimensions. This article aims to clarify the real reasons behind this campaign, arriving in the end the most important results of which are the necessity to find a comprehensive strategy to correct the image of Islam. And Muslims in the Western media and to demonstrate that the Islamic religion is a religion of dialogue and tolerance, not a religion of conflict and collision.

key words: : image; mental image ;islam ; muslims ;western media

1. مقدمة:

يواجه العالم الإسلامي اليوم مجموعة من الحملات الإعلامية التي ساهمت في تشويه صورة الإسلام والمسلمين في عديد وسائل الإعلام الغربية، مما أدى إلى تحريف الحقائق وتضليل الرأي العام الغربي وتحريضه ضد المسلمين في كل مكان بما فهم المسلمون الذين يعيشون في المجتمعات الغربية والمسلمون الذين هم من الأبناء الأصليين لهذه المجتمعات . وقد انتشرت الحملات الإعلامية الأجنبية المعادية للإسلام بشكل ملحوظ، معتمداً في ذلك على مخططات واستراتيجيات لإعادة صياغة العقل الغربي ضد الإسلام كدين، وضد المسلمين كأمة، كما تبنت آليات خاصة للهجوم عن الإسلام والمسلمين، وذلك باستخدام أساليب الدعاية المختلفة بهدف الترويج لأفكار ومفاهيم هدامة تعمل على تشويه صورة الإسلام والمسلمين. وقد ركزت هذه الحملات الشرسة في خطابها الإعلامي على الدول الإسلامية دون غيرها وعملت على انتقاد أوضاعها كافة، و ربط الإسلام بالإرهاب والعنف والقتل والتدمير والتعصب والتطرف، بغية إثارة الرعب والخوف من الإسلام وخلق حالة نفور من كل ما له صلة بالإسلام والمسلمين من قريب أو من بعيد ، مما يستوجب ضرورة التحرك وبشكل جماعي من أجل تصحيح صورة الإسلام والمسلمين وتبيان الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين.

وعلى هذا الأساس تتمحور إشكالية بحثنا حول السؤال الرئيسي التالي : ما هي العوامل الكامنة وراء تشويه صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية ؟ ونستهدف في هذه الدراسة إبراز العوامل والأسباب التي تقف وراء الحملات الغربية الشرسة التي تشنها وسائل الإعلام الغربية ضد كل ما له صلة بالإسلام والمسلمين . كما تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في الموضوع محل الدراسة لأنه يتلاءم معه ، كما أنه يساعد على تحقيق الأهداف المسطرة له من خلال التطرق لدور وسائل الإعلام في بناء الصورة النمطية، وكذا العوامل المساعدة في تشويه صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي ، وصولاً في الأخير إلى ضرورة وضع إستراتيجية شاملة لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين.

2. دور وسائل الإعلام في بناء الصورة النمطية

تعتبر وسائل الإعلام بمختلف أنواعها من أهم القنوات التي تسهم في تكوين الصور النمطية في أذهان الناس، وتكتسب هذه الوسائل أهمية كبرى في مجال تكوين الصور النمطية في حياتنا المعاصرة بسبب انتشارها الواسع، وامتدادها الأفقي والرأسي، وقدرتها البالغة على الاستقطاب والإيهام، واستيلائها الطغي على أوقات الناس، ومنافستها الشديدة للمؤسسات الاجتماعية الأخرى في مجال التأثير الجماهيري. إن ما تبثه وسائل الإعلام لجمهورها من مواد مختلفة هو بمثابة النافذة التي يطلون منها على العالم من حولهم، ويكمن الهدف الرئيسي كما تقدمه وسائل الإعلام عامة والغربية خاصة إلى الناس بإخبارهم بما يريدون معرفته، وما يحتاجون لمعرفته، وما ينبغي عليهم أن يعرفوه، وهذا التشبيه المجازي للمادة الإعلامية

التي تقدم إلى الناس بأنهم "نافذة على العالم"، تقتضي إدراك أن موقع هذه النافذة وحجمها وطريقة وضعها تؤثر جميعا فيما يمكن أن يراه الناس من أجزاء هذا العالم وملامحه (طاش، 1993، ص ص 28-29).
وتحدد سهير بركات ما تقوم به وسائل الإعلام في مجال صنع وترويج وتطوير الصور النمطية في قدرة هذه الوسائل على أن تكون الامتداد الطبيعي لأبصارنا وأسماعنا، كما يقول "مارشال ماكلوهان".

وتختلف الرسائل التي تبثها وسائل الإعلام عن تلك التي يتلقاها المرء من الطبيعة مباشرة، في أن الرسائل الإعلامية هي "رسائل مصوغة" فهي تعتمد على عرف اجتماعي معين كاللغة مثلا...، وتتميز هذه الرسائل بأنها تتصف بالإحكام والتركيز والبعد عن الإسهاب (منصور، 2006، ص 100).

كما أن دور وسائل الإعلام لا يقف عند صنع الصور المنطبعة والأنماط لدى جماهيرها، بل إنما تقوم بتضخيم هذه الصور بدرجة كبيرة وطبعها بقوة في أذهانهم إلى الحد الذي يشعر فيه الملتقي أنه التقى فعلا بالشخصيات التي تناولتها وسائل الإعلام، كما أن وسائل الإعلام بتطوير الصور الذهنية وتغييرها، فثورة المعلومات التي نعيشها اليوم والتي أدت إلى زيادة هائلة في قدر ونوع المعلومات المتداولة تضع ضغوطا مستمرة على الفرد ليجدد ويغير صورته المخزنة ليجعلها على مستوى آخر، لما توصلت إليه المعرفة المتاحة في المجتمع، لكي يستطيع أن يؤدي دوره فيه، وتقوم وسائل الإعلام في هذا الصدد بتبسيط المعارف الجديدة وتقديمها للجمهور بجرعات سهلة الهضم (طاش، 1993، ص 31).

3. العوامل المساعدة في تشويه صورة الإسلام والمسلمين

لا يوجد سبب واحد ساهم في تشويه صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية وإنما هناك مجموعة من العوامل مجتمعة ساهمت في خلق صور نمطية مسيئة لكل ما له صلة بالإسلام والمسلمين ونذكر منها ما يلي:

1.3 الفتوحات الإسلامية.

يمكن القول أن الفتوحات الإسلامية التي بدأت منذ عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتوسعت حدودها وأفاقها على امتداد قرون طويلة لاحقة، قد شكلت بما ارتبط بها وتمخض عنها، أولى وأبرز الخبرات المؤلمة التي تعرض لها الغرب في علاقته بالعالم الإسلامي، تلك الخبرات التي غرست بذور الخوف من الإسلام في ذهنيته، وجعلت له تصورا خاطئا يحكم تفاعله مع ذلك الدين وأتباعه.

ويزخر التاريخ بسلسلة لا تكاد تنتهي من الأخبار غير السارة التي اتخذت طابعا عنيفا في كثير من الحالات، التي كرست النظرة المرتابة، بل العدائية من جانب الغرب وهو الوريث الشرعي للإمبراطورية الرومانية حيال الإسلام وأهله، ويبدو أن التفاعل المباشر لأبناء الغرب مع المسلمين لعقود طويلة، سواء في سياق إحلالهم في بعض الديار الإسلامية إبان ما عرفت عند بعض المؤرخين بالحروب الصليبية، أو في إطار استفادتهم عن طريق رحلاتهم وطلابهم من النهضة العلمية والحضارية، يبدو أنه لم يكن كافيا للنجاح في تبييض الصورة

القائمة التي رسموها في أذهانهم تجاه الإسلام وأتباعه، بوصفه ديناً دمويًا لا يمكن أن يقترن إلا بالعنف والتخلف والإرهاب أو هكذا أرادوا أن تستمر الصورة تحقيقاً لرغبة الانتقام الكامنة في نفوسهم (نيازي الصيفي، 2011، ص ص 165-167).

2.3 الحروب الصليبية

إن الحروب الصليبية هي التي حددت في المقام الأول موقف أوروبا من الإسلام، فلقد كانت الحروب الصليبية حاسمة، لأنها حدثت في أثناء طفولة أوروبا، في العهد الذي كانت فيه الخصائص الثقافية قد أخذت تفرض نفسها. ولا تزال في طور تشكلها. وإنّ الحميّة الجاهلة العامة التي أثمرتها تلك الحروب لا يمكن أن تقارن بشيء عرفته أوروبا من قبل.

لقد اجتاحت القارة كلها موجة من القوة كانت عنفواناً تخطى الحدود التي بين البلدان وبين الشعوب، ولد اتفاق في ذلك الحين –وللمرة الأولى في التاريخ- أنّ أوروبا أدركت في نفسها وحدة، ولكنها وحدة في وجه العالم الإسلامي. ويمكننا أن نقول من غير مبالغة: أن أوروبا ولدت من روح الحروب الصليبية، وقد ولدت في أثناء الحروب الصليبية فكرة المدينة الغربية، وكانت تلك المدينة عداوة للإسلام، ولقد كان في الجانب الإسلامي دائماً رغبة مخلصّة للتسامح، ولكنه لم يلق أبداً المعاملة بالمثل" (شيلي، 2004، ص 7).

هذا الكره الشديد للإسلام تجسدت ملامحه ببروز ظاهرة الإسلاموفوبيا للعيان في أواخر عقد الثمانينات من القرن العشرين، غير أن هذه الظاهرة التي يعبر عنها هذا المصطلح تعود إلى قرون مضت كما ذكرنا أنفاً، مما جعله يشغل اهتماماً كبيراً في العقود الماضية، وقد نشطت تلك الموجة مطلع الألفية الثالثة للميلاد (بن سعيد، 2010، ص 108).

وذلك الاهتمام يرجع لاعتبارات متعددة منها بروز الثورة الإسلامية الإيرانية 1979، والجهاد في أفغانستان 1980، وقضية سلمان رشدي 1986، ثم حرب الخليج الثانية 1991 والحرب في يوغسلافيا السابقة 1992، وبروز الإسلام كعامل سياسي في العالم الإسلامي.

3.3 مشكلة صدام الحضارات.

يشغل البعد الثقافي الحضاري مكانة محورية في العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، وهذا ما يظهر من خلال الصور السائدة لدى كل طرف عن الآخر والكيفية التي يشكل بها كل طرف الآخر ويرسمه من خلالها، ولعل أبرز ما يمكن استدعاؤه هنا مقولتان ذاع صيتهما في السنوات الأخيرة، هما أطروحة "فرانسيس فوكوياما" عن نهاية التاريخ والتي يرى فيها أن النموذج الرأسمالي الليبرالي هو أرقى ما يمكن أن تصل إليه البشرية وما على باقي العالم إلا الانضمام إليه، ومقولة "صامويل هنتنغتون" عن صدام الحضارات والتي يرى فيها أن صراع الحضارات سيكون المصدر الرئيسي للنزاعات في النظام العالمي الجديد، وسيكون هذا الصراع مقتصرًا على الحضارة الغربية من جهة، والحضارتين الإسلامية والكنفوشوسية (في الصين وكوريا) من جهة أخرى.

وعلى هذا فالأطروحتان تعتمدان التأصيل الثقافي وإن كانت أهدافهما سياسية وإستراتيجية، يمثل الإسلام تلك النظرة الإيديولوجية الوحيدة الراضية للهيمنة الغربية وهذا ما رشحه ليكون منافسا لها (هنتش، 2004، ص298).

وقد أدت أحداث 11 سبتمبر 2001 إلى تمكن موضوع الصدام بين الحضارات من المعقول، وأصبح يشكل بؤرة الاهتمام، بل إن البعض رأى أن الأحداث أدت إلى تعميم مفهوم صراع الحضارات في عالمنا، عن طريق نفي وجود هذا الصراع، حيث أن عدد كبيرا من المفكرين ورجال السياسة الذين أكدوا في الأيام والأسابيع والأشهر التي تلت الاعتداء أنه لا يمكن أن يكون هنالك صراع حضارات بين الإسلام والمسيحيين، يثبت بما فيه الكفاية أن هذا المفهوم البدائي يسكن عقول الجميع (تود، 2003، ص27).

ومما يتصل بالمسألة الحضارية تلك الأطروحات التي سادت بعد أحداث سبتمبر في تفسير "الإرهاب الإسلامي" والتي تخلص إلى القول أن الإسلام ديانة ذات جوهر ثابت ومظهر متغير، وأن الأصولية تكوينية في الإسلام، وأن الهزائم المتطاولة للمسلمين، والإرهاب بوصفه انزعاجا ثقافيا، والإسلام دين تخلف وعنف وتعصب.

4.3 تواجد المسلم في البلاد الغربية.

من الدوافع المؤثرة في كراهية الإسلام تزايد هجرة المسلمين إلى الغرب، خاصة خلال الستينيات من القرن العشرين والتي أثارت نقاشات اقتصادية واجتماعية في بداية الأمر، لكن ومنذ أوائل الثمانينات –بعد الثورة الإسلامية الإيرانية- أخذ الإعلام يربط بين تلك النقاشات وبين ثقافة وديانة هؤلاء المهاجرين، فبرز النقاش حول ما إذا كانت قيم وثقافة هؤلاء تنسجم مع الثقافة الغربية، وفي هذا السياق برزت مسائل عديدة من قبيل الحجاب وإنشاء مدارس إسلامية إلى غير ذلك. ثم جاءت أحداث سبتمبر فأدت إلى طرح مسألة الولاء للوطن بقوة، بل إن هنتنغتون قدم أطروحته الثانية عما أسماه "الهوية الأمريكية" التي يجب الحفاظ عليها والتي تقوم على ركائز أربع أساسية هي: "العرق الأبيض- والإثنية الإنجليزية – والدين المسيحي البروتستانتي والثقافة الإنجليزية البروتستانتية" (نيازي الصيفي، 2011، ص179).

إن موقف الغرب السلبي من المهاجرين المسلمين في أوروبا يعود لسببين أحدهما: الاختلاف العرقي، والعداء المتصاعد للمسلمين هذا يعود أساسا لرفض مجموعات معينة تقبل حقيقة أن مختلف بلدان أوروبا الغربية أصبحت دول هجرة، ومن ثم تخشى أن تفقد الإطار الثقافي في ظل التعددية الثقافية التي تتفاعل داخلها، والسبب الثاني لتدهور الموقف الغربي من المسلمين يعود أساسا لتزايد عدد المسلمين مقابل معتنقي المسيحية واليهودية، وهذا ما يزيد من مخاوف الغرب (نيازي الصيفي، 2011، ص180).

5.3 أحداث 11 سبتمبر 2001.

منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 على نيويورك وواشنطن والحملة الهوجاء المعادية للإسلام والمسلمين من قبل القوى الفاعلة في الولايات المتحدة وحلفائها في الغرب بكل أبعادها السياسية

والثقافية والعسكرية والاقتصادية، تستهدف تدمير مرتكزات الإسلام من قيم ومبادئ، تسعى للهيمنة على الأرض وثرواتها، واستبعاد الإنسان وفرض هيمنة استعمارية على المنطقة، بما يخدم المصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة وشركائها، ويحقق طموحات وأهداف الشريك الأهم في المنطقة، "المشروع الصهيوني الاستيطاني".

هذه الحملة الضارية قد جرى التمهيد لها قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بسنين عديدة عبر نظريات فكرية، قدمت صوراً مشوهة عن الإسلام، واعتبرته الخطر الأكبر على الحضارة الغربية، وما أنتجه من أنماط سياسية وثقافية واجتماعية خاصة منها الديمقراطية وحقوق الإنسان، واستهدفت تلك الحملة تقديم صورة مغايرة لحقيقة الإسلام للرأي العام الغربي، من خلال تصويره كدين للإرهاب والحروب والقتل والعبودية، ويرخص الديمقراطية، ويقمع الحرية، ويعمل في ثنايا الشر بكل أنواعه للغرب ولحضارته، في محاولة لإحلال الخطر الأخضر بدل الخطر الأحمر (عمارة، 2005، ص ص 49-52).

فأنتج المعادون للإسلام من أصحاب تلك الحملة وعلى رأسهم القوى الصهيونية ذات التأثير السياسي والإعلامي والاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا مبدءاً سياسياً جديداً، ويقوم على ضرورة إشاعة الديمقراطية والحرية وفق الرؤية الأمريكية في العالم الإسلامي عامة والوطن العربي والشرق الأوسط خاصة، وذلك باستخدام كل أوراق الضغط على الأنظمة والشعوب معاً، وإن تطلب الأمر استخدام القوة العسكرية لفرضها ضارين بذلك عرض الحائط خصوصية العالم الإسلامي (لعرباوي، 2016، ص 264).

عقب أحداث الثلاثاء الأسود كما أطلق عليها إعلامياً، شنت وسائل الإعلام الغربية حملة على الإسلام، ففي تهمة بأنه مستودع للإرهابيين، وبأنه يعلم أتباعه كراهية الغرب، وأنه خطر على ديمقراطية الغرب. فأحداث الحادي عشر من سبتمبر نتجت عنها تداعيات كان في طليعتها عودة المصطلح القديم الجديد إلى الساحة وهو "الإسلاموفوبيا" وتمثلت هذه التداعيات في:

- الأحداث ولدت المشاعر العدائية ضد المعتدي -المسلمين بالدرجة الأولى- وهو ما كان سبباً في توفر ذريعة ضرورية لشن الحرب بسرعة، لتكون بذلك تنسيقاً لمشاعر العداء.

- أحداث استغلت للخروج من مأزق كانت تداعياتها على المستوى الاقتصادي، الذي وصل إليه الاقتصاد الأمريكي قبل الأحداث، حيث بدأ التراجع الاقتصادي يبرز جلياً في مؤشرات البطالة، وانخفضت مؤشرات الإنتاج الصناعي.

- الاستجابة للضغط المتلاحق من قبل شركات النفط لاحتلال أفغانستان، لتأمين الخطوط القادرة على نقل النفط عبرها (قدوري، 2003، ص 42).

كما كشفت وسائل الإعلام الغربية ومن خلال تصريحات أدلى بها الرئيس "جورج بوش" عن الحملات الإرهابية على العديد من البلدان تحت ذريعة الإرهاب باسم محور الشر والدول الشريفة وغيرها من المسميات.

6.3 النفوذ الصهيوني في وسائل الإعلام الغربية.

يعد النفوذ الصهيوني الكبير في وسائل الإعلام الغربية أحد أهم وأخطر العوامل التي تساهم في صياغة الصورة النمطية السيئة عن الإسلام والمسلمين وترسيخها في العقل الغربي المعاصر، وقد تنوعت أساليب اليهود ووسائلهم في بسط نفوذهم على وسائل الإعلام الغربية، ومن أهم هذه الأساليب والوسائل كما ترى "جيهان رشتي":

- الملكية المباشرة لوسائل الإعلام، أو تعيين عناصر موالية صهيونية في المناصب الهامة فيها.

- وجود عدد كبير من اليهود بين العاملين في وسائل الإعلام.

- استقطاب الإعلاميين من غير اليهود لمناصرة اليهود.

- استخدام سلاح الإعلان في الضغط على وسائل الإعلام التي لا تخضع لسيطرة المنظمات الصهيونية، سواء بالملكية المباشرة أو عن طريق تعيين إعلاميين موالين لها في المناصب الهامة (رشتي، 1985، ص ص 461-462).

4. مظاهر الصور المغلوطة عن الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية

تعمل وسائل الإعلام الغربية على تقديم صور نمطية مشوهة عن الإسلام والمسلمين، جامدة ومتحيزة عن عديد الشعوب والأمم الأخرى، حيث يمكن للمتأمل في هذه الصورة النمطية التي تقدمها وسائل الإعلام الغربية لجمهورها عن الإسلام والمسلمين أن يدرك بسهولة عدة ملامح بارزة تتألف منها تلك الصورة المشوهة، وقد لخص أحد الباحثين تلك الملامح البارزة للصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين في النقاط التالية: إظهار المسلمين في صورة المتناقضين دينياً مع الغربيين، فهم غير مسيحيين ومتطرفون يناهضون الصليبيين، إظهار المسلمين في صورة أبطال الروايات الغرامية لألف ليلة وليلة، والذين لا يهتمهم إلا الخمر والموبقات. إظهار المسلمين بأنهم مصدر المتاعب والإرهاب والعنف وتصويرهم بأنهم العدو الجديد، أو ما بات يعرف بالخطر الأخضر بعد زوال الخطر الأحمر. إظهارهم بأنهم ابتزازيون و يسيطرون على منابع النفط في العالم، و يحاولون قطع الشريان الاقتصادي للدول الغربية عامة و الولايات المتحدة على وجه الخصوص (طاش، 1993، ص 67).

أما الإسلام فقد تم وصفه بأنه: الدين الإسلامي دين جامد و بدائي و غير منطقي و لا يملك مقومات الحضارة مقارنة مع الحضارة الغربية. دين عنف و إرهاب و يحرض على الجهاد و الحروب و يرفض التعايش السلمي مع الشعوب (غريب، 2000، ص 67).

و ما يمكن تأكيده هو أن ظاهرة تشويه صورة الإسلام و المسلمين في وسائل الإعلام الغربية قد اشترك في صنعها و الترويج لها مجموعة من الوسائل و الفنون الإعلامية من خبر، حوار، كاريكاتير، إعلان، مسلسلات... (نيازي الصيفي، 2011، ص 75) و امتد ذلك إلى قطاعات أخرى كالمؤسسات التعليمية، و

مراكز البحوث، و لم تتوقف الأمور عند هذا الحد فقط فقد امتد الوضع ليطال كبار المسؤولين السياسيين الإعلاميين في العالم و فيما يلي عرض لبعض المقتطفات من تصريحات هؤلاء: في عام 1985 قال الرئيس الأمريكي "نيكسون" بعد تولي غورباتشوف السلطة في الاتحاد السوفيتي سابقا: يجب على روسيا و أمريكا أن تعقدا تعاونا حاسما لضرب الأصولية الإسلامية، و عام 1990 صرح وزير الخارجية الأمريكية "هنري كيسنجر" قائلا إن الجبهة الجديدة التي يجب على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي، باعتباره العدو الجديد للغرب."

و قد صرح الرئيس الأمريكي "نيكسون" بقوله أن نظرة الإسلام للعالم تقسمه إلى قسمين دار السلام و دار الحرب، حيث يجب أن تتغلب الأولى على الثانية، و أن المسلمين يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب، و على الغرب أن يتحد مع الاتحاد السوفيتي لمواجهة هذا الخطر الداهم بسياسة واحدة، (إبراهيم خضر، 2002، ص ص 80-81) و بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1989 صرحت رئيسة الوزراء البريطانية "مارغريت تاتشر" في كلمة أمام الحلف الأطلسي " بأن العدو القادم هو الخطر (الأخضر) كناية عن الإسلام، بعد أن تم القضاء على الخطر الأحمر.

و قال المسؤول الفرنسي عن الهجرة "جاك كلوك بارو": "أن الإسلام هو الخطر على مستقبل الغرب"، و قد برر الرئيس الفرنسي "فرانسوا ميتران" مساعدته للرئيس العراقي "صدام حسين" في حربه ضد إيران فقال: "كنا نساعده لأنه يحارب الأصولية في إيران، و التي تمثل تهديدا أكبر لمصالحنا: " و بعد ذلك تحول الصدام ذاته إلى صدام مهدد للمصالح الغربية في منطقة الشرق الأوسط، (محمود، 1994، ص ص 121-122)، كما صرح القائد العام للقوات المسلحة الألمانية "كلاوس نيومان" و هو يحذر من أن الخطر الأخضر قد حل محل الخطر الأحمر، و أن هلاله يمتد بين المغرب و باكستان و يشكل تحديا إيديولوجيا للغرب.

إن ما يمكن أن يستخلص من هذا الكم الهائل من التصريحات الرسمية للحكام الغربيين أنهم ليسوا فقط بصدد الجهر بعدائهم للإسلام و المسلمين و إنما بصدد التحالف و التآمر من أجل القضاء عليه و قد زادت هذه الحملة شراسة و خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 و أصبحت أكثر تطاولا على الإسلام و المسلمين حيث وصفها الرئيس الأمريكي "بوش الابن" بأنها الحرب الصليبية الأولى في القرن الحادي و العشرين و التي سرعان ما تراجع عنها قائلا بأنها سقطت منه سهوا و كذلك تصريح رئيس الوزراء الإيطالي "برلسكوني" الذي أكد عداؤه للإسلام و المسلمين و طالب بمحاربة المسلمين، و قد سار "طوني بليز" في نفس الطريق عندما قرر إبادة العالم الإسلامي و جره إلى حالة من الرعب تفوق الحروب كلها، في رسالة تحمل كل معاني العداة للإسلام و المسلمين (إبراهيم خضر، 2002، ص ص 89-90).

النتائج المستخلصة من وراء هذه المظاهر:

- لقد حددت الحملات الإعلامية في خطابها عن الإسلام عدة مفاهيم سلبية تعمل على تشويه معاني الإسلام وسماحته وخصائصه، فقد وصف المسلمون بالبربرية والهمجية، كما وصفت الدول الإسلامية بالعداء للسامية.
- كما وصف الإسلام بالديانة التي تحاول انتزاع حضارة الغير وسلبها ونسبها إلى نفسه، وينكر الإسلام كل ما وصل إليه الغرب من تقدم وازدهار، فالإسلام هو الإرهاب وهذا ما بدا جليا ومجسدا في أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 (إبراهيم خضر، 2002، ص89).
- وبالنسبة لموقف الغرب من الإسلام فقد جاء الخطاب صريحا وليس ضمنيا يحث على ضرورة اتخاذ الغرب موقفا للحد من ظاهرة انتشار الإسلام و الحد من ظاهرة الإرهاب.
- وقد احتل النقد الهدف الأول لمضمون الخطاب الإعلامي لوسائل الإعلام الغربية، حيث شمل مختلف المجالات في الدول العربية والإسلامية، وخاصة المجال الديني فقد وجهت انتقادات حادة لأحكام الشريعة الإسلامية من حيث الأحكام المتعلقة بحد السارق والزاني مثلا ووصفت هذه الحدود بالبشاعة والاعتداء على حقوق الإنسان.
- استخدمت وسائل الإعلام الغربية في خطابها الإعلامي الوصف والبلاغة، فهي تصف الإسلام بالسرطان الذي ينتشر ويتوغل في أنحاء الجسم كافة، وبالطاعون الذي لا بد من التخلص منه وتصف المسلمين بأنهم حشرات وضيعة (إبراهيم خضر، 2002، ص90).
- وقد ذكرت وسائل الإعلام الغربية أن محمدا قام بنشر هذه الديانة بعد ادعائه الألوهية ليكسب الشهرة والقوة والجنس والمال، وهو إرهابي يرتكب العنف دون مبرر ويدعو للكراهية.
- كما قامت هذه الحملات على عقد عديد المقارنات بين الإسلام والغرب، وركزت فيها على أمرين رئيسيين أولهما التفوق العلمي للإسرائيليين على المسلمين حيث ذكرت أنه من بين 12 مليون يهودي فاز 178 يهوديا بجائزة نوبل في الكيمياء والفيزياء والطب ولأدب والاقتصاد والسلام، وذلك على العكس من المسلمين الذين يصل تعدادهم إلى 1.4 مليار نسمة لم يفز منهم سوى 19 عالما بجائزة نوبل.
- أما الجانب الثاني من المقارنات فقد ركز على التعداد السكاني للمسلمين والدول الغربية حيث وُصف لتحذير دول أوروبا من هذا الانتشار الإسلامي، وأنه في الخمسين سنة الأخيرة كان معدل زيادة المسيحيين 47%، والبوذيين 63% أما المسلمين فقد زاد بمعدل 235%، كما قل تعداد اليهود بنسبة 4% بسبب الاضطهاد النازي الذي تعرضوا له من العرب والمسلمين مما يرشح المسلمين ليكونوا أغلبية في المستقبل (bichara elkhader, 1994,p4).
- الإسلام متخلف ومنغلق ورافض للتحديث والإصلاح ومواكبة العصر،الإسلام غير متسامح، عنيف ومتطرف.
- المرأة المسلمة مهضومة الحقوق، ومحتقرة في النصوص الدينية، وأقل شأنًا من الرجل في العادات والمعاملات الاجتماعية والمالية(الميراث).

- الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي استبدادية، غير ديمقراطية، توظف الدين لفرض وصايتها على المواطنين وإضفاء الشرعية على احتكار السلطة.
- الحركات الإسلامية في العالم هي جماعات أصولية إرهابية تمثل الوجه المتطرف للإسلام السياسي.

5. من أجل إستراتيجية شاملة لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين

من أجل تصحيح الصور المغلوطة عن الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية اقترحت الدراسة ضرورة الاعتماد على إستراتيجية شاملة للتعريف بسماحة الدين الإسلامي والمسلمين وتبرئتهم من كل التهم والصور المغلوطة التي تقتضي ما يلي:

- انتهاج سياسات واضحة تجاه القضايا العربية والإسلامية ودعم هذه السياسات بجهود سياسية فعالة تستخدم الوسائل المناسبة المتاحة للعمل الدبلوماسي في الدول الغربية، توفير قنوات مفتوحة للاتصال واستقاء الأخبار والآراء من سفارات الدول العربية والإسلامية بما يتفق و حاجات العمل المهني الإعلامي في الغرب (بن سعيد، 2010، ص 101).

-توثيق علاقات الصداقة بين الهيئات الدبلوماسية الإسلامية في الخارج من جهة، والقوى السياسية والثقافية والإعلامية في الغرب من جهة أخرى، من خلال:

- إنشاء مؤسسات ثقافية إسلامية في البلدان الغربية، مثل: المكتبات، ومعاهد البحوث المتخصصة في الدراسات الإسلامية والعربية، ومعاهد تعليم اللغة العربية ونحو ذلك، حيث تقوم هذه المؤسسات بتوفير المواد الثقافية والعلمية التي تساعد على تقديم صورة حقيقة عن الإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية، مثلما تقوم به الدول الغربية في بلداننا.

-العمل على وضع وتنفيذ خطة محكمة لتصحيح المعلومات المغلوطة التي تحتويها الموسوعات والمراجع الأساسية في الغرب عن الإسلام والمسلمين (نيازي الصيفي، 2011، ص 190).

- توحيد الجهود عبر المؤسسات الثقافية العربية والمراكز الإسلامية لتصحيح المفاهيم والتصورات الخاطئة عن الإسلام والمسلمين في أذهان المتدربين الغربيين ، ويمكن أن يتم ذلك من خلال تصحيح الكتب المدرسية، وتزويد المدارس بالمعلومات الصحيحة وتوفير المواد الثقافية والإعلامية التي تساعد على تكوين تصورات سليمة عن الإسلام والمسلمين.

- توفير قنوات إعلامية قوية تسهل للغربيين الحصول على ما يريدونه من معلومات وآراء حول القضايا المتعلقة بشؤون العالم العربي والإسلامي، من خلال إنشاء صحف ومجلات بلغات المجتمعات الغربية، وكذا تخصيص محطات إذاعية وتلفزيونية لعرض وجهات النظر العربية والإسلامية في مختلف القضايا (بن سعيد، 2010، ص 102).

- العمل على إنتاج مواد إعلامية على مستوى فني رفيع لتقديم الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين إلى الغربيين، مثل الأفلام السينمائية والبرامج التلفزيونية والكتب والنشرات وغيرها.
- منح الإعلاميين العاملين في مختلف وسائل الإعلام الغربية المزيد من الحرية والمرونة في استقاء الأخبار والتعليقات والآراء من المسؤولين في العالم العربي والإسلامي، وتنظيم برامج لتبادل الزيارات بين الصحفيين، الأمر الذي يمكن أن يوطد العلاقات بين الجهتين.
- تنشيط دور السفارات والجاليات العربية والإسلامية المقيمة بالخارج في متابعة وسائل الإعلام، لتنفيذ ما تقدمه من معلومات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين وممارسة بعض الضغط المنظم ضد الجهات والمؤسسات الإعلامية التي تسيء للإسلام والمسلمين (طاش، 1993، ص161) في المجتمعات الغربية.
- ضف إلى ذلك ضرورة أن تلعب الجاليات العربية والمسلمة دورا كبيرا في إعطاء الصورة المناسبة والحقيقية للإسلام والمسلمين من خلال سلوكياتهم اليومية وكذا احتكاكهم المباشر مع غير المسلمين سواء في المدارس، الجامعات وكذا أماكن العمل.
- كما تجدر الإشارة إلى الدور الذي يجب أن يلعبه رجال الدين والفكر في مجال توطيد الحوار ومحاولة إقناع الغير بالحجة والدليل، أما في الجانب الأكاديمي فيجب على الأكاديميين العرب والمسلمين تقديم دراسات علمية وملتقيات و ندوات باللغات الأجنبية التي يفهمها الغرب ذاتهم ، (بن سعيد، 2010، ص 103) يكون الغرض منها هو تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين لدى الغرب، وكذا تشجيع الدراسات العربية، الإسلامية بالجامعات الغربية من أجل حوار و تعارف و تعايش الشعوب الغربية مع الشعوب و الحضارة العربية و الإسلامية بدل التصادم والصراع.

الخاتمة:

يمكن أن نستخلص من هذه الدراسة أن الإسلام والمسلمين يتعرضون اليوم لحملة تشويه شرسة يقف وراءها عديد الأسباب والعوامل، و الأطراف الظاهرة والخفية التي تعمل جاهدة على تشويه صورة الإسلام والمسلمين، ولعل أبرز ما تستخدمه هذه الأطراف وسائل الإعلام بشقيها التقليدي والحديث، مستغلة بذلك الأعمال التي يقوم بها بعض المتشددون والمتعصبين الذين ينتمون للعالم الإسلامي، من أجل إلصاق صور مغلوطة عن الإسلام والمسلمين، حيث بات الدين الإسلامي اليوم يتهم بأنه دين عنف وتطرف، وأن المسلم أصبح يساوي الإرهابي، يتم كل هذا في ظل غياب إستراتيجية شاملة وواضحة من أجل تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في العالم الغربي.

قائمة المراجع:

- المحجوب بن سعيد. (2010). الإسلام والإعلاموفوبيا - الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف. دمشق: دار الفكر.
- ايدموند غريب. (2000). الإعلام الأمريكي والعرب. مجلة المستقبل العربي ، 260 ، 67.
- ايمانويل تود. (2003). ما بعد الإمبراطورية - دراسة في تفكك النظام الأمريكي. بيروت: دار الساقى.
- تيري هنتش. (2004). الشرق المتخيل - رؤية الغرب الى الشرق المتوسطي. بيروت: دار الفرابي.
- جهان رشتي. (1985). الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية . القاهرة: دار الفكر العربي.
- حسن نيازي الصيفي. (2011). الإعلام الغربي وصورة الإسلام والمسلمين. القاهرة: إتراك للطباعة والنشر.
- زبير سلطان قدوري. (2003). الإسلام وأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. دمشق: اتحاد كتاب العرب.
- ندى زين منصور. (2006). الصورة الذهنية والإعلامية. القاهرة: دار الكتاب الحديث.
- عبد القادر طاش. (1993). صورة الإسلام في الإعلام الغربي. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي.
- عبد الودود شبلي. (2004). الإسلام والغرب- خواطر وتجاربوذكريات. القاهرة: مكتبة الآداب.
- عمارة محمد. (2005). الاسلام في عيون غربية افتراء الجهلاء وانصاف العلماء. مصر: دار الشرق.
- لطيفة إبراهيم خضر. (2002). الإسلام في الفكر الغربي. القاهرة: عالم الكتب للنشر.
- مصطفى محمود. (1994). الإسلام في خندق. القاهرة: كتاب أخبار اليوم.
- نصير لعرباوي. (2016). صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية. مجلة العلوم الإجتماعية ، 264.

bichara elkhader,(1994)l europe et la mediterranee,geopolitique de la proximite,paris:editions l harmatton.